

الخصائص العامة للنظم السياسية الافريقية

أستاذ المادة
أ.م.د ناظم نواف ابراهيم
النظم السياسية الافريقية

سارعت دولة ما بعد الاستقلال في إفريقيا إلى استيراد النموذج الغربيّ للدولة الوطنية؛ الأمر الذي اصطدم بالخصوصيات المحلية (القبيلة، التنوع اللغويّ والعرقّيّ والإثنيّ والدينيّ) التي لا تتلاءم والنموذج الغربيّ المستورد، مما غدّى مجموعةً من الصراعات؛ أدخلت دولاً إفريقية في حروبٍ أهليةٍ، أضف إلى ذلك ظهور فواعل جديدة مهذّدة للأمن، كالإرهاب الدولي، والجريمة المنظمة. هذه البيئة الأمنية المعقّدة باتت تفرض على الدولة أدواراً جديدة، سواء كضامن للأمن، أو كفاعل مسؤول عن تحقيقه، وأمام هذه الوضعية تظهر منطقة الساحل الإفريقي بوصفها منطقة منتجة للآزمات؛ انطلاقاً من ذلك وتأسيساً عليه: يعالج الموضوع الإشكالية الآتية: إلى أي مدى ساهم الموروث الاستعماريّ في تعميق أزمة الدولة في الساحل الإفريقي؟ وما أهمّ التحديات التي تواجه بناء الدولة في المنطقة؟

تجربة النظم الافريقية القديمة في الحكم والسياسة من أقدم الموروثات السياسية فى العالم، وذلك لما يملكه هذا الإرث من قواعد فلسفية شكلت إرثا عرفيا فى الحكم والسياسة تقود وتوجه المركب المفاهيمى لتجربة الحكم والسياسة فى أرجاء القارة فى غياب الحدود السياسية، وفى ظل وجود المقومات اللغوية والأنماط المؤسسية البسيطة التى عاشتها المجتمعات الإفريقية القديمة، فعلى سبيل المثال شعب “البانتو” كان يتنقل عبر جبال إفريقيا الوسطى إلى شعب “الهامتيك” مهاجرا ومنتقلا إلى شرق القارة، يكون مجتمعات جديدة ويؤسس أنماطه السياسية ومؤسساته التى يحتاج إليها وفق ما تقتضيه الحاجة والمكان والزمان.

كانت القبائل الإفريقية تختار الفضاء الذى يحقق لها الاستقرار والعيش فى عدل ومساواة وحرية ومن ثم تختار أشكالها السياسية وتؤسس قوانين وأعراف مجتمعاتها، وبهذه الآليات البسيطة كانت المجتمعات الإفريقية القديمة تؤسس لمفاهيم الديمقراطية المباشرة لإدارة شؤونها، وبدون الإعلان عنها، فكانت هناك مؤسسة الجيرونوقراطية الإفريقية العريقة وهى أول مؤسسة لممارسة الحكم والسلطة فى التاريخ السياسى، ألا وهى حكم الشيوخ أو حكم الكبار ذوى الحكمة والخبرة والحنكة.

ولقد كانت تلك النماذج السياسية الإفريقية تعبر عن المضمون الفلسفى السياسى وكانت من ضمن مؤشرات للقيم الاجتماعية السائدة آنذاك التى أسست فعليا أنظمتها السياسية وشكلت بذلك القيم السياسية للقبائل الإفريقية، وإن المركب المفاهيمى والمعرفى لتجربة ومسار الحكم والسياسة فى إفريقيا يرشدنا أيضا إلى أن الشعوب الإفريقية القديمة طورت ذاتيا فى التنوع البنائى والمؤسساتى لتجربة الحكم والسياسة فى إفريقيا، استنادا على فرضية أن الأفارقة قديما صنعوا وابتكروا طبيعة الجماعية الإنسانية وطبيعة التفاعل الاجتماعى وتأسيس العلاقة المطلوبة بين القوة والسلطة، من خلال تقاسم أهداف مشتركة وأساليب سياسية .

فالتنوع الذى شهدته تجربة الحكم والسياسة فى إفريقيا يقدم لنا نموذجاً لكيفية صياغة الفكر السياسى فى ظل التنوع البيئى والجغرافى والثقافى والبشرى فى تقارب زمانى ومكانى، لذلك وفى إطار البحث عن الأنماط والنماذج للحكم والسياسة فى إفريقيا تخبرنا التجربة الجيرونوقراطية الإفريقية بأن موضوعات الفكر السياسى الإفريقى القديم ترسخت فى نماذج وأشكال من خلال الشعب يختار ما يناسبه لترشيده ووجهته، ومن حيث المدى والنطاق والتاريخ للفكر السياسى الإفريقى المهمش وأول هذه الموضوعات هى قضية الجماعية أو التعددية بمفهومها العصرى فى الفلسفة السياسية الإفريقية ويستمر التحليل إلى فحص فكرة المركزية وانتشار القوة السياسية ومحدودية استعمالاتها وضوابطها وأهمية علاقات التفاعل بين الدين والفلسفة السياسية من خلال النزعة الثقافية الإفريقية نحو العلاقات التبادلية والارتباطية بين العمر والحكمة والمعرفة، وإن مفهوم التعددية والجماعية يرتبط فى هذا السياق بذلك التنوع البنائى المؤسستى لأنظمة الحكم والسياسة فى إفريقيا، وكذلك تنوع شعوبها.